﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ٥٣﴾

[البقرة: 53]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لـمَّا ذكر الله سبحانه عملَ بني إسرائيل ـ بخلافِ ما يقتضيه عظيمُ إحسانه تعالى إليهم؛ فاتَّخذوا العجلَ معبودًا، وكان ذلك دليلًا على سُوء طِباعِهم واختلال مزاجِهم، وأنَّهم لا يحفظون عهدًا، ولا يستقيمُون على طريقٍ؛ ذكَّرهم الله تعالى ههنا بنِعمة إنزال الكتاب -وهو التَّوراة- على نبيِّهم موسى عليه السلام، والكتاب المُنزَّل مِن شَأنه تقويمُ أحوالهم وتحسينُ طِباعهم عندَ الرُّجوعِ إليه والاهتداءِ به[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿ءَاتَيۡنَا﴾: الهمزةُ والتَّاء والحرف المعتلُّ تدلُّ اشتقاقاتها على: وصولٍ، أو تقدُّم وحضورٍ، إلَى محلٍّ بتَهْيِئَةٍ أو قُوَّةٍ تُزيل ما يعوقُ، ومنه قولُهم: آتى إلَيه الشّيءَ؛ أي: ساقَه ودَفعَهُ، فجعله يأتي إليه، وآتى فلانًا شيئًا: أعطاه إيَّاه[2]، فالإيتاءُ: الإعطاءُ[3]، وهو المرادُ بقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ﴾.

وكلُّ موضع ذُكر فيه في وصفِ الكِتَاب (ءَاتَيۡنَا)؛ فهو أبلغ من كُلّ موضع ذُكر فيه (أوتوا)؛ لأنّ (أوتوا) قد يقال: إذَا أُوتِيَ مَن لم يَكُن منهُ قَبُولٌ، و(آتيناهم) يُقال: فيمن كان منه قَبولٌ[4].

2) ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: وهو على وَزْنِ فِعَالٍ مِنَ الكَتْبِ، وأصْلُهُ: جمعُ شيءٍ إلى شيءٍ[5].

ويُطلق الكِتَابُ على الخطِّ والكتابةِ، كمَا قال الله تعالى عن عِيسَى عليه السلام: ﴿وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[6] [المائدة: 110].

(1) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 1/369.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (أتو/أتى).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (أتى).
(4) الرّاغب، المفردات: (أتى).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كتب).
(6) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/223، ونصر الهُورِينيّ، المطالع النَّصْرِيَّة، ص: 41.

ويُطلق مرادًا به المكتوبُ، فيكون مِن إطلاقِ المصدَرِ مرادًا به اسمُ المفعول، كقَوْلِهم: فِراشٌ، بمعنى: مفروشٍ، وغِراس، بمعنى: مَغْرُوس، ولِباس، بمعنى: مَلْبُوس، ثم أُطْلِقَ على الصَّحيفة مَعَ ما كُتِبَ فِيهَا[1].

ويأتي (الكِتابُ) في القرآن الكريم على أحدَ عشَرَ وَجْهًا[2]، والمُرَادُ بِهِ في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةُ[3].

3) ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾: الفاء والرَّاء والقافُ تدلُّ اشتقاقاتُها على تمييزٍ بين شيئين[4]، ومنه سُمِّيَ القرآنُ الكريم فُرْقَانًا؛ لأنَّه يُمَيِّزُ بين الحقِّ والباطلِ[5].

والفُرقَانُ أبلَغُ مِن الفَرقِ؛ لأنَّ الفرقانَ يُسْتَعْمَلُ في التَّمييزِ بينَ الحقِّ والباطل، بخلافِ الفَرْقِ؛ فإنَّهُ يُسْتَعْمَلُ في ذلكَ وفي غَيْرِهِ[6].

والمرادُ بالفرقانِ في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ التَّوراة، ويكون عطف الفرقان على الكتاب مع أَنَّ المرادَ منهما واحد؛ تنزيلًا لتغايُرِ الصِّفات منزلة تغاير الذَّوات، وذلك أنَّ التَّوراة موصوفةٌ بكونها كتابًا، وبكونها فرقانًا؛ أي: فارقة بين الحقِّ والباطلِ[7].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

واذكروا -يا بني إسرائيل- نعمتنَا عليكم حينَ أعطَيْنَا موسى التَّوراةَ الجامعةَ بين كونِها كتابًا مُنْزَلًا وفرقانًا يُفرِّقُ بين الحقِّ والباطلِ؛ لتهتدُوا بها مِنَ الضَّلال[8].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِـ(نَا) فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا﴾:

ضَمِير (نَا) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ للعَظَمَةِ لا للجمعِ؛ إذِ المتكلِّمُ

(1) نصر الهُورِينيّ، المطالع النَّصريّة، ص: 41.
(2) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النَّواظِر، ص: 527-526.
(3) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم: 1/108-109.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فرق).
(5) ابن دُريد، جمهرة اللّغة: (فرق).
(6) الرّاغب، المفردات: (فرق).
(7) محمّد الأمين الشِّنقيطيّ، أضواء البيان: 1/37.
(8) الواحديّ، الوجيز، ص: 105، والنَّسفي، مدارك التَّنزيل: 1/89، ونخبة مِنَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 8.

اللهُ ﷻ وهو الواحد الأَحَدُ، والتَّعبير بـ (نَا) ـ الدالَّةِ على عظَمَةِ المُؤْتِي، وهُوَ الله تعالى[1] ـ دالٌّ بالالتزامِ على عظَمَةِ الكتابِ المُؤْتَى، فإنَّ ما يُؤتيهِ العظيمُ عَظِيمٌ.

عَظَمَةُ المُؤْتَى مِن عَظَمةِ المُؤْتِي

دلالة اللَّامِ في ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾:

اللَّام في ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يُرادُ بها العهد العلميُّ، والمرادُ به: التَّوراةُ؛ إذْ هُوَ الكتاب المعهودُ إنزالُهُ على موسى[2] عليه السلام.

كَمالُ التَّوراةِ التي أنزَلَها اللهُ تعالى عَلَى مُوسَى عليه السلام

ويُضَافُ إلى دِلالتهَا على العهدِ: دلالَتُهَا على الكَمالِ، أي: آتينَا موسى الكتابَ الكاملَ في نفسِه الجامعَ لَكُمْ على طريق الحقِّ[3].

دلالة (الوَاوِ) في قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾:

الوَاوُ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾ حرفُ عطفٍ، والأصلُ في العطف: المغايَرةُ بين المعطوفِ والمعطوفِ عليه، وليس هنا كذلك؛ إذِ المرادُ بالكتاب والفُرقَانِ وَاحِدٌ، وهُوَ التَّوراةُ[4]، فيكون مِن باب الكنايةِ التي يُطلب بها نفسُ الموصوفِ، وإنَّما جيءَ بالواوِ بينَ الوصفينِ؛ للإعلام باستقلال كلٍّ مِنْهُمَا[5]، فتغايُرُ الصِّفتين بمنزلةِ تغاير الذَّاتين[6].

تَـنـزِيـلُ تغَايُـرِ الوَصْفَيْنِ منزلةَ تغايُرِ الذَّاتَيْنِ

فالكتابُ وصفٌ أُقيمَ مقامَ الذَّاتِ، والفرقانُ وصفٌ وظيفيٌّ، عومِلَ معاملةَ الذّاتِ لِعظيم أثرِه، وبالغِ الاحتياجِ إليه في بني إسرائيل.

مُنَاسَبَةُ الفواصِلِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ و﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾:

خُتِمَت هذه الآية بقول الله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾،

تَنَاسُب مقاطِعِ الآياتِ مَعَ مَضَامِينِهَا

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 1/369.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/232.
(3) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 1/369.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 2/71.
(5) الطِّيبي، فتوح الغيب: 2/486، والسّيوطي، نواهد الأبكار: 2/244.
(6) محمّد الأمين الشِّنقيطيّ، أضواء البيان: 1/37.

وخُتِمَت الآية التي قبلها بقوله سبحانه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ لمناسبة كلِّ فاصلةٍ لآيتِهَا، ووجه ذلك:

أنَّ الله تعالى ذكر جُرمًا عظيمًا فعله بنو إسرائيل، وهو عبادَةُ العجلِ، ومع عِظَم جُرْمِهم وظُلْمِهم فإنَّ الله سبحانه تجاوزَ عنهم، وعفَا عنهم، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾، وهذه مِنَّةٌ عظيمةٌ ونعمةٌ جَسيمَةٌ تستحقُّ شُكْرَهُ تعالَى عليها، فجاء ختم الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

أمَّا الآية التي بعدَها؛ فذكر الله تعالى إنزاله التَّوراةَ على موسَى، ووصفَهَا بكونِهَا فُرْقَانًا يُفَرِّقُ بين الحقِّ والباطِلِ، ومن شأنِ مَن هذا وَصْفُهُ أن يهتدِيَ مُتَّبِعُهُ، فقال سبحانه: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإِيتَاءُ وَالإِعْطَاءُ:

الإيتَاءُ والإعطاءُ معناهُمَا واحدٌ عند كثيرٍ من أصحاب المُعْجَمات[2].

وفرَّق آخرونَ بينهما، والتَّفريقُ راجعٌ إلى ثلاثَةِ أوجهٍ[3]:

أحدها: أنَّ الإيتاءَ لا مُطَاوِعَ لفعلِهِ، فتقول: آتاني شيئًا، فأخذتُه، بخلاف الإعطاءِ فإنَّ له مُطاوعًا، فتقول: عاطاني فَعَطَوْتُهُ، أي: غلبتُه[4]، ويترتَّب على هذا: أَنَّ الإيتاء أقوَى مِنَ الإعطاء؛ لأنَّ المتقرِّرَ أنَّ ما له مُطاوِعٌ مِنَ الأفعال أضعفُ في إثبات مفعولِهِ مِمَّا لا مطاوِعَ له.

ثانيها: أنَّ الإيتاء يُستعمَلُ غالبًا فيما له ثباتٌ وقرارٌ، بخلاف الإعطاءِ فإنَّ الغالبَ استعمالُهُ فيما يَنتقِلُ مِنْهُ بعد قضاء الأَرَبِ منهُ، ومِنْ هذا البابِ عندَهُم قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: 1]؛ لأنَّ فيه انتقالًا مِنْهُ إلى ما هو أعظَمُ مِنْهُ.

ثالثها: أنَّ في الإعطاءِ دليلًا على التَّمَلُّكِ بخلاف الإيتاء.

---

(1) أحمد المنيراوي، المناسبة بين الفواصل القرآنيَّة وآياتها، ص: 77.

(2) الخليل، العين: (أتى)، والجوهريّ، الصِّحاح: (أتى).

(3) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 87، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 212.

(4) الجوهري، الصِّحاح: (عطا).

وأمَّا في خصوصِ الاستعمال القُرآنيِّ لِلَفظَتَي (الإيتاء) و(الإعطاء)؛ فإنَّ بينَهُمَا فرقًا من جِهَتَيْنِ[1]:

إحداهما: أنَّ الإيتاءَ لم يُستعمل إلَّا لِلشَّيْءِ الكَثِير والعظيم الشَّأْنِ، كالقرآنِ الكريمِ، والتَّوراةِ، والمُلْكِ، والرَّحمة، بخلاف الإعطاءِ فإنَّهُ يُستعمَلُ لِلشَّيْءِ القليل، ولم يَرِد الإعطاءُ مرادًا به الشَّيءُ الكثيرُ إلَّا بقيدٍ يدلُّ على الكثرَةِ.

الأخرى: أنَّ الإيتاءَ إذا صدَرَ مِنَ العَبْدِ يكون عَنْ طِيبِ نفسٍ، بخلاف الإعطَاءِ فَهُوَ مُطْلَقٌ.

(1) محمّد داود، معجم الفروق الدّلاليّة في القرآن الكريم، ص: 29-27.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»